(العدل في الإسلام)

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في كتابه الكريم: (وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) الأنعام ١٥٢، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله القائل في حديثه الشريف: (إن المقسطين يعني – العادلين – على منابر من نور يوم القيامة الذين يعدلون في حكمهم، وأهليهم، وما ولوا)

أيها المسلمون: هيا بنا نطوف سويًا مع وصية من وصايا القرآن الكريم يأمرنا الله فيها بالعدل في الأقوال والأفعال مع القريب والغريب؛ فالله سبحانه وتعالى هو العدل؛ حرم الظلم على نفسه، وأمر بالعدل في كل وقت وحين، والعدل ضد الظلم، وبالعدل قامت السماوات والأرض، وهو ميزان الله في الأرض الذي وضعه للناس ونصبه للخلق، وهو قاعدة من قواعد الدنيا التي لا انتظام لها إلا به، ولا صلاح لها إلا معه، ولهذا أمر الله به في كثير من الآيات. قال سبحانه وتعالى: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى) النحل ٩٠، وقال سبحانه وتعالى (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) النساء ٥٨، بل لقد أمر الله بالعدل حتى مع الأعداء فقال سبحانه: (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) المائدة ٨

ولقد أمر الله أنبياءه ورسله أن يقيموا العدل في الأرض وينشروه بين الناس فقال سبحانه لداوود عليه السلام: (يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) ص ٢٦، ولقد طبق النبي صلى الله عليه وسلم العدل في كل جوانب حياته في بيته بين نسائه وأولاده، وبين أصحابه وأحبابه، حتى مع أعدائه كان صلوات ربي وتسليماته عليه عادلا، ومن الأمثلة على ذلك حينما انتصر المسلمون على المشركين في غزوة بدروكان من ضمن أسرى المشركين العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم، فقيده المسلمون وشدوا قيده فآلمه القيد فبكى، فبكى النبي صلى الله عليه وسلم لبكائه، فأرخى- أي فكه قليلًا -عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيد العباس لمكانه-أي لقرابته- من النبيَّ صل الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ماذا فعلت يا عمر؟ قَالَ أرخيت قيد العباس

قال له :إذن فأرخي قيود الأسرى جميعاً يا عمر، إن من العدل أن ترخي قيود الأسرى جميعاً، ففعل عمر رضي الله عنه.

بل انظروا إليه صلى الله عليه وسلم وهو يعلم أصحابه أن يكونوا عدولًا في تصرفاتهم؛فعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال:(وهبني أبي عطية- بستانا-فقالت أمي: لا أرضى حتى يشهد علي ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليشهده على ذلك، فقال له :أكلّ ولدك أعطيت مثل هذا؟ قَالَ: لا،قال: فإني لا أشهد على زور. اتقوا الله واعدلوا بين أبنائكم)، ولما توفي الرسول صلى الله عليه وسلم سار الصحابة رضوان الله عليهم على منهج رسولهم، فتولى الخلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فكان أعدل الناس، وجاء من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه فضرب في العدل أروع الأمثلة، وكان لا يخشى في الحق لومة لائم، ثم جاء من بعده عثمان بن عفان رضي الله عنه فسار على نفس المنهج، ومن بعده جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه

فسار على الدرب، وذات يوم وهو أمير المؤمنين افتقد درعاً له وكانت ثمينة، فرآها في يد رجل ذمي يبيعها في سوق المدينة، فقال له إن هذه الدرع درعي كيف وصلت إليك؟ قَالَ الرجل: إنها درعي يا أمير المؤمنين، فقال: هي درعي، ولم أبعها، ولم أهبها لك فقال الرجل: الدرع درعي وفي يدي، بيني وبينك القضاء، فقال علي رضي الله عنه: أنصفت، فذهبا إلى القاضي شريح – قاضي المدينة – فقال لهما القاضي :ما الأمر؟ تكلم يا أمير المؤمنين، فقال: وجدت درعي مع هذا الرجل يبيعها في السوق، ولم أبعها، ولم أهبها له، فقال القاضي :ماذا تقول أيها الرجل؟ قَالَ: الدرع درعي، وفي يدي، ولا أتهم أمير المؤمنين بالكذب، فقال القاضي: هل عندك شهود على أنها درعك يا أمير المؤمنين؟ قَالَ: نعم مولاي قنبرة، وولدي الحسن، قال القاضي أما شهادة مولاك فمقبولة، وأما شهادة ولدك لك فلا، قال علي رضي الله عنه: سبحان الله رجل من أهل الجنة لا تقبل شهادته؟ ألم تسمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)، قال القاضي: اللهم نعم، غير أن شهادة الولد لوالده عندي غير مقبولة، فنظر علي للرجل وقال له: إذن خذ الدرع فليس عندي شهود غيرهم، فقال الرجل: لكني أشهد يا أمير المؤمنين أن الدرع درعك.سبحان الله أمير المؤمنين يقاضيني عند قاضيه، وقاضيه يقضي لي عليه!!! أشهد أن هذا الدين دين الحق والعدل، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، وأسلم الرجل وحسن إسلامه.

أيها المسلمون عباد الله: ما أحوجنا إلى إقامة العدل في كل شؤون حياتنا؛ فتستقيم البيوت؛ وينشأ الحب والتعاون، ويزول الحقد والحسد..

اللهم ردنا إليك رداً جميلاً، واغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات اللهم آمين يا رب العالمين.

كتبه فضيلة الشيخ /محمد محمد صدقى عبد الكريم شلال

مبعوث وزارة الأوقاف المصرية إلى البرازيل.